

الكورد و كوردستان عبر التاريخ

المبحث الاول

تعريف عام بالشعب الكوردي و موطنه (كوردستان)

المطلب الاول

جغرافية كوردستان

أولاً: الموقع /

كوردستان تعني بلاد الكورد، و تتألف لفظياً من كلمتين هما (كورد) و (ستان) التي تعني بلد او محل. و قد اطلق اسم كوردستان على وطن الشعب الكوردي منذ قرون عديدة أي ان كوردستان اسم جغرافي و تاريخي لبلاد الكورد⁽¹⁾.

ويكتب المؤرخ الروسي باسيل نيكيوتين بهذا الشأن ما يلي:

(ان لفظة كوردستان تعني بلاد الكورد، و هي منطقة واسعة لا حدود سياسية لها، و قد اطلقها - سنجر- و هو آخر ملوك السلجوقيين على احدى مقاطعات مملكته و ذلك في القرن الثاني عشر بعد الميلاد. و كانت هذه المقاطعة تضم عدة ولايات يفصل بينها سلسلة جبال -زاكروس- ففي شرق هذه السلسلة تقع ولايات همدان و دينور و كرماشاهان، و في غربها تقع ولايتا شهرزور و سنجار. أما عاصمتها فكانت قلعة -بهار- الواقعة شمال شرقي همدان و كانت هذه المنطقة قبل القرن الثاني عشر تدعى -جبال الجزيرة- او ديار بكر. و اول مؤرخ ذكر كوردستان هو القزويني في كتابه -نزهة القلوب- سنة 740 الهجرية أي في القرن الرابع عشر للميلاد⁽²⁾. ويقول الدكتور شاكر خصباك (ان كوردستان بلاد ذات حدود طبيعية و ذات سكان من عنصر متميز، الا انها و ان كانت ذات حدود طبيعية مميزة فهي لا تملك حدوداً سياسية دولية)⁽³⁾.

و يقول د. عبدالرحمن قاسملي في كتابه (كوردستان و الاكراد):

(تقع ارض الاكراد -كوردستان- في الشرق الاوسط في آسيا الغربية و هي لا تؤلف دولة واحدة. فالاراضي المعروفة باسم كوردستان مقسمة بين ايران و تركيا و عراق و سوريا. و يستطرد د. قاسملي قائلاً: "فتمة شيء من الصعوبة اذاً في تحديد خط الحدود لكل كوردستان. و نتيجة الدراسة للمنطقة التي

(1) جلال طالباني (كوردستان و الحركة القومية الكوردية)، الطبعة الثانية/1971 دار الطباعة و النشر/بيروت/ ص30.

(2) باسيل نيكيوتين (الكورد) دراسة سوسيولوجية و تاريخية، الطبعة الثالثة/2004، أبريل، ص52.

(3) جلال الطالباني (المصدر السابق) ص20، نقلاً عن د. شاكر خصباك (الكورد و المسألة الكوردية).

يقطنها الاكراد، و هي تؤلف من الناحية التاريخية و الموضوعية ارض واحدة⁽¹⁾، فان بالوسع ان نرسم الحدود بشكل تقريبي كما يلي:

يبدأ خط مستقيم عند قمة سلسلة جبال آارات في الشمال الشرقي، ينحدر جنوباً الى الجزء الجنوبي في سلسلة جبال زاكروس و بشتكوه و من تلك النقطة نرسم خطاً مستقيماً نحو الغرب الى الموصل في العراق و من ثم خطاً مستقيماً نحو الغرب يمتد من الموصل الى المنطقة التركية من لواء الاسكندرونة. من تلك النقطة يمتد خط نحو الشمال الشرقي حتى ارضروم في تركيا، ثم من ارضروم يمتد خط مستقيم نحو الشرق الى قمة آارات⁽²⁾.

و المساحة الكلية لكوردستان تبلغ زهاء (2كم409650) أي انها اوسع من مساحات بريطانيا و هولندا و بلجيكا و سويسرا و الدنمارك مجتمعة. و من ارض كوردستان هناك (2كم194400) في تركيا، (2كم 124950) في ايران، (2كم 72000) في العراق، (2كم18300) في سوريا. و تبلغ طول كوردستان من الشمال الى الجنوب حوالي (1000كم). اما معدل العرض فهو (200كم) في الجزء الجنوبي ثم يزداد شمالاً حتى يبلغ (750كم)⁽³⁾. كذلك يمكن تحديد موقع كوردستان بين خطي العرض 34-39 شمالاً و بين خطي الطول 37-46 شرقاً⁽⁴⁾.

ثانياً: الطبيعة/

كوردستان منطقة جبلية ترتفع عن سطح البحر ما بين 1000-1500م. تخترق الجبال هذه البلاد من اقصاها الى اقصاها خاصة في جهاتها الشرقية حيث توجد سلسلة جبال (آارات) العالية المشهورة التي تصل الى 5168م فوق سطح البحر⁽⁵⁾. بل هناك مدن تقع على ارتفاع كبير مثل (بيجار) التي تعلو 1920م فوق سطح البحر، و في المقابل هناك مدن اخرى تقع على ارتفاع اقل بكثير مثل اربيل البالغ ارتفاعها 430م فوق سطح البحر التي تقع على تخوم الصحراء العراقية⁽⁶⁾. في كوردستان تمتد سهول فسيحة خصبة صالحة لمختلف انواع الزراعة⁽⁷⁾.

و تقع كوردستان في المنطقة المعتدلة الشمالية و مناخها صحراوي شبه استوائي، فمعدل الامطار يتراوح سنوياً بين 200ملم - 400ملم. اما في الاراضي المنخفضة المنحصرة بين سلاسل الجبال فيبلغ معدلها السنوي بين 700-2000ملم و قد يصل احياناً الى 3000ملم⁽⁸⁾، و احياناً تكون على شكل

- (1) د. عبدالرحمن قاسم (كوردستان و الاكراد، دراسة سياسية و اقتصادية) المؤسسة اللبنانية للنشر/بيروت، ص11.
- (2) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق)، ص12.
- (3) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق)، ص13.
- (4) موسوعة مقاتل الصحراء/ من الانترنت (الاکراد و المشكلة الكوردية/ جزء الاول)، ص8.
- (5) محسن محمد المتولي (كورد العراق) الطبعة الأولى، 1422/2001، الدار العربية للموسوعات، ص18.
- (6) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص13.
- (7) محسن محمد المتولي (المصدر السابق) ص19.
- (8) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق)، ص13.

ثلوج سريعة الذوبان^(١). اما عن الحرارة ففي المناطق المعتدلة تتراوح بين (21م-40م). اما في المنخفضات حيث المناخ شبه صحراوي فان الحرارة تبلغ (37م-48م)^(٢). وقد تنخفض في بعض المناطق الجبلية العالية ما بين 15-20 تحت الصفر، و احيانا الى 30-35 تحت الصفر^(٣).

وتتبع في جبال كردستان اربعة انهار كبيرة^(٤): آراس و دجلة و الفرات و قيزل اوزان. و من انهار كردستان الهامة كذلك الزاب الكبير و الزاب الصغير و كلاهما يصبان في نهر دجلة و كذلك نهر سيروان و غيرها. و هناك بحيرتان كبيرتان في الجزء الشمال الغربي هما بحيرة (وان) في كردستان التركية و بحيرة اورمية في كردستان الايرانية. و هناك بحيرات اخرى اصغر منها مثل بحيرة (زريبار) قرب مدينة (مريوان) في كردستان الايرانية^(٥).

و من الجدير بالذكر ان كردستان تزخر^(٦) بالموارد المائية ففيها اكثر من عشرة الآف ينبوع و بها العديد من مساقط و شلالات المياه و البحيرات الطبيعية كل ذلك يشكل ارضية ملائمة لبناء قوة صناعية هائلة في هذه البلاد.

كما تتوفر المعادن في كردستان كذلك يوجد النفط في كردستان العراق و تركيا و ايران و يقدر احتياطي النفط في كردستان باكثر من 45 مليار برميل. ففي كردستان العراق يوجد النفط في حقول كركوك و عين زالة و خانقين و في كردستان تركيا يوجد النفط في دياربكر و باطمان. وكذلك يوجد في كردستان ايران في كرماشان و قصر شيرين و خانة. و بجانب النفط يوجد الكبريت و الفوسفات و اليورانيوم و الذهب و النحاس و الفضة و الحديد و الرصاص و الزنك و النيكل و الرخام و المرمر^(٧).

-
- (1) محسن محمد المتولي (المصدر السابق) ص19.
 - (2) محسن محمد المتولي (نفس المصدر) ص19.
 - (3) د.عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق)، ص14.
 - (4) د.عبدالرحمن قاسم (نفس المصدر)، ص15-16.
 - (5) د.عبدالرحمن قاسم (نفس المصدر)، ص17.
 - (6) محسن محمد المتولي (المصدر السابق) ص19.
 - (7) محسن محمد المتولي (نفس المصدر) ص19-20.

المطلب الثاني

تعريف عام بالكورد

اولاً: اصل الكورد /

يقول د. عبدالرحمن قاسم في كتابه (كوردستان و الاكراد): ينتمي الاكراد الى أعرق أمم الشرق الاوسط الذي يعتبر مهذاً للحضارة القديمة. ولا تزال دراسة التأريخ الكوردي غير وافية، الامر الذي اوجد مختلف الآراء حول اصل الاكراد و تطورهم التأريخي⁽¹⁾. وهناك ما يشبه الاجماع لدى دارسي تأريخ الشعب الكوردي على ان اصوله يحيط بها نوع من الغموض من حيث تعذر تعيينها بدقة⁽²⁾. و ينقل جلال طالباني عن الكاتب الروسي مينورسكي قوله⁽³⁾: الاكراد ينحدرون من اصل اري، الا انهم امتزجوا بعناصر اخرى، و يضيف انه من المحتمل جداً ان يكون الشعب الكوردي قد هاجر في الاصل من الشرق - شرقي ايران- الى الغرب - كوردستان الحالي- و استوطن به منذ فجر التأريخ⁽⁴⁾. و يتفق المؤرخون على وجود شعب باسم (الكوتيين)، كان يعيش قبل الميلاذ بألفي عام في منطقة تشكل الآن احدى مناطق الكورد الرئيسية و هي المنطقة المحصورة بين نهر دجلة و الزاب الاسفل و نهر يالى و قد وردت اقدم اشارة الى هذا الشعب في الكتابات السومرية، حيث كان السومريون يشكون من قوم محاربين اسمهم (الكوتي) قد اعتادوا على النزول من جبالهم و مهاجمة المدن السومرية، و اعترف السومريون و كذلك الاكديون من بعدهم بمملكة (الكوتيين) التي كانت عاصمتها (أرابخا) و التي ربما كانت تقع قرب مدينة (كركوك) الحالية. و كان البابليون يسمونهم (كاردو). و يرى بعض المؤرخين ان الكورد الحاليين كانوا يعيشون في العصور الغابرة في المنطقة التي تعرف ببلاد (ميديا) و ان الكورد في اعتقاد العديد من المؤرخين هم احفاد الميديين⁽⁵⁾. و قد جاء ذكر هذا الشعب في كتاب (اناباس) للقائد اليوناني الشهير (زينفون) الذي كان على رأس عشرة آلاف جندي يوناني في طريق عودته من بلاد فارس الى اليونان و يقول ان الكاردوخين الذين يعيشون في الجبال اناس شجعان لن يرضخوا لا لسلطة الملك كركس و لا لحكم الارمن. و ذلك منذ عام 431 قبل الميلاذ⁽⁶⁾.

(1) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق)، ص 39.

(2) جلال طالباني (المصدر السابق) ص 23.

(3) جلال طالباني (نفس المصدر) ص 24.

(4) جلال طالباني (المصدر السابق) ص 25.

(5) محسن محمد المتولي (المصدر السابق) ص 13-14.

(6) محسن محمد المتولي (نفس المصدر) ص 13. و كذلك د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص 40-41.

ثانياً: السكان /

لا توجد احصاءات دقيقة لعدد الاكراد اليوم في الدول التي يتبعون لها، لان بعض هذه الدول لا تعترف بالوجود الكوردي على اراضيها، فلا تشير احصاءاتها اليهم. كما انهم يتعرضون باستمرار لعمليات التهجير و الترحيل و اعادة التوطين في غير مواطنهم⁽¹⁾. لهذا السبب تختلف التقديرات الرسمية عن التقديرات الحقيقية لنفوس الاكراد⁽²⁾. ان اغلبية الاكراد يعيشون ككتلة مندججة في كردستان -بلاد الاكراد- و لا توجد هناك كتل او جماعات من الشعوب تفصل بينهم، فهم يشكلون 85% من مجموع سكان كردستان⁽³⁾. هذا و يعيش على ارض كردستان حوالي مليون الى مليون و نصف من القوميات الاخرى من التركمان و الآذريين و الآشوريين و الكلدان و الارمن⁽⁴⁾. و يعيش في تركيا نحو من نصف الشعب الكوردي فهم يشكلون حوالي 20% من سكان تركيا و في ايران 10% من سكانها و في العراق 23% و في سوريا 9%، بالإضافة الى اعداد لا بأس بها في ارمينيا و في اذربيجان و في لبنان و كذلك اعداد اخرى منتشرون في أوروبا و بعض الدول العربية.. و يقدر بعض الباحثين عدد الاكراد باكثر من 25 مليون نسمة و هناك في بعض الباحثين الكورد يقدر عددهم بحوالي 35 مليون الى 40 مليون نسمة في الوقت الحالي⁽⁵⁾.

ثالثاً: اللغة /

تنتمي اللغة الكوردية الى مجموعة اللغات الايرانية التي تمثل فرعاً من اسرة اللغات الهندو-اوربية، و هي تضم الكوردية و الفارسية و الافغانية و الطاجيكية⁽⁶⁾. و هذه الحقيقة تساهم في دحض الادعاء الذي ينسب الاكراد الى اصل تركي او عربي حيث ان اياً من اللغتين العربية و التركية لا تنتمي الى عائلة اللغات الهندو - اوربية. و برغم صلة القرابة بين اللغتين الكوردية و الفارسية الا انهما لغتان متميزتان تماماً شأن اللغتين الروسية و البلغارية. و الأهم من ذلك انهما لغتان مختلفتان، مع العلم انه قد تكون هناك لغة واحدة مشتركة لأمتين مختلفتين او لعدة أمم مختلفة. و لا يصح القول بان الاكراد من اصل

(1) مقاتل من الصحراء (المصدر السابق) ص10.

(2) جلال طالباني (المصدر السابق) ص39.

(3) ماجد عبدالرضا (المسألة الكوردية في العراق) منشورات مكتبة بغداد/1970/ ص13.

(4) د.عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق)، ص37.

(5) مقاتل من الصحراء (المصدر السابق) ص11.

(6) محسن محمد المتولي (المصدر السابق ص19). وكذلك أنظر الى كتاب (كوردستان و استراتيجيته تى دهوله تان) حسينى مدنى،

الطبعة الأولى/2000، ص14-19.

(7) د.عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص29.

فارسي او الفرس من اصل كوردي و الصواب ان الكورد و الفرس انحدروا من اصل واحد لم يعد موجوداً الآن، شأنهم في ذلك شأن الامم السلافية مثلاً التي انحدرت من اصل واحد⁽¹⁾.

ويقول جلال الطالباني: (للشعب الكوردي لغته القومية الخاصة به و هي اللغة الكوردية بلهجاتها المتعددة، و هي لغة مستقلة قائمة بذاتها لها قواعدها و مفرداتها الخاصة بها، و لها تطوراتها المستقلة الخاصة بها)⁽²⁾.

وينقل عن ادموندز الاخصائي في اللغة الكوردية، ان اللغة الكوردية ليست عبارة عن لهجة فارسية محرفة مضطربة، بل هي لغة آرية نقية معروفة لها مميزاتها الخاصة و تطوراتها القديمة⁽³⁾.

ليس للغة الكوردية حتى الآن شكل ادبي موحد. و هناك اليوم لهجتان رئيسيتان: الكرمانجي و السوراني. و كانت اللهجة الكرمانجية هي السائدة في الادب الكوردي حتى الحرب العالمية الاولى و لكن بعد تحريم استعمال اللغة الكوردية في كل من تركيا و سوريا، و بالنظر لتصاعد الوعي القومي في كل من العراق و ايران، اخذت اللهجة السورانية تسود الادب الكوردي. و قد احرزت هذه اللهجة تطوراً ملموساً خلال قيام جمهورية مهاباد بين 1945-1946 في كردستان ايران و كذلك في العراق بعد ثورة 14 تموز 1958 حيث تم الاعتراف بوجود الشعب الكوردي في الدستور المؤقت. اخذ الادب الكوردي ينمو نمواً سريعاً في كردستان العراق. و هكذا اصبحت اللهجة السورانية هي اللهجة السائدة في الادب الكوردي⁽⁴⁾. و يضيف د. قاسم قاسم الى انه ليس هناك فرق كبير بين هاتين اللهجتين انهما في الاساس تشكلان لغة واحدة فلهما مفردات لغوية متشابهة و لهما نفس القواعد⁽⁵⁾. و بالرغم من وجود بعض الاختلافات بين هاتين اللهجتين الا انه من السهل التفاهم بين المتحدثين بهما خاصة اذا توفر الاتصال و الاختلاط بين سكان المنطقتين كما هو عليه الحال في اقليم كردستان العراق بعد عام 1991 و قيام مؤسسات سياسية و ثقافية على مستوى الاقليم.

وتكتب اللغة الكوردية في العراق و ايران بالحروف العربية، في حين يستعمل اكراد سوريا و كذلك تركيا الحروف اللاتينية التي هي السائدة في تركيا. لا شك ان عدم وجود كتابة موحدة للغة الكوردية يؤثر سلباً على تطور اللغة الكوردية و هو في الواقع عقبة كأداء امام توحيد اللغة الادبية الكوردية في كردستان عموماً⁽⁶⁾. و نرى ان وعورة الارض و صعوبة الاتصالات و عدم وجود كيان سياسي موحد للشعب الكوردي على مدار التاريخ، ادى الى اختلاف اللهجات التي يتكلم بها الكورد و الى عدم ايجاد لغة ادبية موحدة.

(1) ماجد عبدالرضا (المصدر السابق) ص 13.

(2) جلال طالباني (المصدر السابق) ص 45.

(3) جلال طالباني (المصدر السابق) ص 46.

(4) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص 30.

(5) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص 31.

(6) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص 31.

رابعاً: الديانة /

الاسلام دين الاغلبية الساحقة للشعب الكوردي و اغلبهم من اهل السنة على المذهب الشافعي. و قسم قليل منهم و هم الكورد الفيلية على المذهب الشيعي الاثنا عشري في جنوب كردستان ايران في منطقة كرمانشاه و لورستان و منطقة خانقين في كردستان العراق و في كردستان تركيا في منطقة درسيم⁽¹⁾. و يعيش في بعض مناطق كردستان أتباع الطائفة اليزيدية في منطقتي شيخان و سنجار. و هي في البداية كانت طريقة صوفية تعرف بالطريقة العدوية نسبة الى مؤسسها الشيخ عدي بن مسافر الأموي ثم تحولت الى حركة سياسية و أخيراً أصبحت ديانة مستقلة⁽²⁾. و يرى المؤرخ الكوردي الشهير محمد أمين زكي، أن اليزيدية ترجع بالأساس الى المذهب الماني او الى الديانة الزرادشتية في ايران القديمة⁽³⁾. و هناك طائفة اخرى من الكورد يطلق عليهم (الكاكائية) و هي كلمة كوردية تعني الاخ و هم يقدسون الامام علي تقديساً عظيماً⁽⁴⁾. و هم منتشرون في بعض مناطق متفرقة في محافظة كركوك في كردستان العراق و كرمانشاه في كردستان ايران.

والمجتمع الكوردي يمكن ان يوصف بأنه مجتمع متعدد الطوائف و الاديان و لكنه استطاع ان يحافظ على الروابط الاساسية التي تبقيه متماسكاً متعاطفاً و موحداً، و هي روابط قوية وطنية و تراثية و روحية⁽⁵⁾.

والشعب الكردي يعرف بانه من الجماعات المتمسكة بدينها - و هم من اكثر المسلمين تمسكاً بالدين الاسلامي و تفهماً و تفقهاً فيه و يمثل الدين أقوى دافع لهم و موجه لحياتهم. و لقد اسهم الكورد مساهمة فعالة في نشر تعاليم الدين الاسلامي و لقد ظهر بينهم من تفقه في العلوم الاسلامية و اخذ مكانة مرموقة بين الفقهاء و العلماء و المفسرين و رواة الحديث و اصحاب الطرق الصوفية، و الطريقتان النقشبندية⁽⁶⁾ و القادرية هما اهم الطرائق الصوفية المنتشرة في ارجاء كردستان و للعالم الديني (الملا) مكانة محترمة في المجتمع الكوردي⁽⁷⁾.

(1) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص 28.

(2) نازاد سعيد سمو (اليزيدية من خلال نصوصها المقدسة) ص 7، 8، 39.

(3) محمد أمين زكي (خولاصه يه كى تاريخى كورد و كردستان) چاپى يه كه م 2004، سليمانى، بهرگى يه كه م، ص 203.

(4) محسن محمد المتولي (المصدر السابق) ص 44.

(5) محسن محمد المتولي (نفس المصدر) ص 45.

(6) محسن محمد المتولي (نفس المصدر) ص 41.

(7) د. عبدالرحمن قاسم (مصدر سابق) ص 28-29.

المبحث الثاني

لمحة تاريخية عن الوضع السياسي للشعب الكوردى

المطلب الاول

الإمارات الكوردية

عاش الكورد طوال تاريخهم تحت السيطرة الاجنبية او الشعوب المجاورة لهم بصورة مباشرة او غير مباشرة. فمنذ القرن الخامس قبل الميلاد استطاع الامبراطور الاخميني (كورش) ان يدمر عام 550 ق.م. المملكة المسماة (ميديا) التي يعدها المؤرخون الوطن الاصلي للكورد. فمنذ ذلك التاريخ لم تكن لهذا الشعب دولة موحدة و لا وطن موحد. لقد شكلت طبيعة كوردستان الجغرافية الوعرة المحور الاساسي في هذا كله⁽¹⁾. ثم خضع هذا الشعب لحكم الاسكندر الكبير الذي قضى على الدولة الاخمينية عام 330 ق.م. ثم خضع للأرمن (الارسانيين) خلال القرنين الثاني والاول قبل الميلاد، ثم للدولة الرومانية حتى القرن الثالث الميلادي، ثم للارمن الذين اختلطوا بالاكراذ. و تعاقب على حكم بلاد الكورد الامبراطوريتان الفارسية و الرومانية، و اخيراً خضعت كوردستان للامبراطورية البيزنطية، التي اقتسمتها مع الامبراطورية الساسانية بين القرنين الثالث و السابع الميلاديين الى ان جاء الفتح الاسلامي في عام (18هـ/ 640م) في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، بعدما قضت الدولة الاسلامية الناشئة على الامبراطوريتين البيزنطية و الساسانية معا. فدخل الكورد في الدين الجديد و كانوا عوناً و سنداً قوياً للدولة و الامة الاسلاميتين في العصور التي تلت ذلك. و في الواقع ان القبائل الكوردية لم تكن خاضعة لتلك الدول خضوعاً حقيقياً، بل كانت تعيش في شبه استقلال، معتصمة بمجال كوردستان العالية و الوعرة، و ظهرت امارات كوردية مستقلة خلال فترة الحكم الاسلامي تحت حكم بعض الأسر الكوردية و لم يسيطر أي من هذه الامارات على كوردستان سيطرة تامة و كثيراً ما كان يحصل صراع بين الأسر الكوردية الحاكمة، الى ان جاءت الدولة الايوبية الكوردية التي اسسها صلاح الدين الايوبي عام (564 هـ) والتي بسطت سيطرتها على بلاد الشام و مصر و بلاد الرافدين و اليمن و قسم من شمال افريقيا. و استطاع ان يخوض حروباً مظفرة ضد الصليبيين في فلسطين و قضى على الدويلات الصليبية في بلاد الشام و سجل مجد البطولات في تاريخ الاسلام عندما تمكن من دحر الصليبيين في معركة حطين و تحرير القدس و المسجد الاقصى من الاحتلال الصليبي في 27 رجب عام 583 الهجرية التي استمرت قرابة القرن من الزمان. و استمر حكم الدولة الايوبية بين (564-648هـ) أي (84) عاماً، فكان اعظم عهود تلكم الحقبة التاريخية بالنسبة للمسلمين⁽²⁾.

(1) محسن محمد المتولي (المصدر السابق) ص50-51.

(2) محمود شاكر (التاريخ الاسلامي) المجلد 5-6 / الجزء الثاني / الطبعة السادسة/1421هـ-2000م، ص307.

و تعاقبت السلاحفة الاتراك عام 1051م و المغول عام 1231م و تيمور لنك عام 1402م على احتلال بلاد الاسلام و منها كوردستان لينشروا الدمار و الحراب في تلك الديار و الحقوا بها اضراراً كبيرة⁽¹⁾.

مع مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر ميلادي)، انقسم العالم الاسلامي بين دولتين اسلاميتين، الدولة الصفوية الشيعية الحاكمة في ايران و الدولة العثمانية السنية الحاكمة في الاناضول. و دخل الكورد في طاعة السلطان سليم الاول بفضل مساعي الشخصية الكوردية المشهورة (ملا ادريس البديسي)، الذي اصبح مستشاراً مقرباً للسلطان العثماني الذي ارسله الى امراء كوردستان لما له من نفوذ و مكانة بينهم و اعتراف بفضل و علمه. فأنضم هؤلاء الأمراء الى السلطان العثماني الذي استطاع بدعم و مساندة الكورد من دحر شاه اسماعيل الصفوي في معركة (جالديران) الشهيرة عام 1514م/ 920هـ. و اصدر السلطان سليم الاول مرسوماً (فرمان) سلطانياً تضمن الاعتراف بالادارة الذاتية لهؤلاء الامراء على المناطق الكوردية و ليس عليهم الا ان يقدموا الدعم و المساندة للدولة العثمانية في حربه مع الدول الكبيرة. و قد حدد الفرمان السلطاني الامارات الكوردية بامارة بابان في السليمانية و امارة سوران في اربيل و امارة بهدينان في العمادية و امارة بوتان في منطقة الجزيرة بالاضافة الى امارات هكارى و شاصون و بدليس و حصن كيف حيث بلغت عدد الامارات الكوردية (16) امارة⁽²⁾ معترفاً بها.

و كان من نتائج معركة (جالديران) تقسيم كوردستان بين الدولتين الصفوية و العثمانية، حيث خضع القسم الاكبر منها للحكم العثماني، و حدد ذلك التقسيم رسمياً في معاهدة زهاو التي ابرمت بين الشاه عباس الايراني و السلطان العثماني مراد الرابع عام 1639م لتنظيم الحدود مما زاد من تكريس تقسيم كوردستان بين الدولتين⁽³⁾.

يقول المؤرخ الكوردي الشهير شرفخان البديسي في كتابه (شرفنامه) بشأن الامارات الكوردية: ان الأمراء الكورد كانوا مستقلين الى درجة ان بعضهم اصدروا العملة باسمهم و صورتهم و ان الخطباء كانوا يدعون لهم و يذكرون أسمائهم في خطبة الجمعة بدلاً من السلطان العثماني مع العلم ان احداً منهم لم يكن ملكاً و لم يسم نفسه ملكاً و ان كوردستان لم تكن دولة موحدة و مستقلة تحت حكمهم⁽⁴⁾.

ان الاعتراف الرسمي بالامارات الكوردية من قبل السلطان العثماني و بقاء حكمهم الوراثي بحيث يحكمون مستقلين في شؤونهم الداخلية يعود الى الاسباب التالية:⁽⁵⁾

اولاً: ان الدولة العثمانية كانت مضطرة الى التفاهم و العمل ما بوسعها لكسب صداقة الزعماء الكورد و امرائهم و ذلك لانها كانت تجابه قوتين كبيرتين هما الدولة الصفوية في الشرق في ايران و المماليك في الجنوب في مصر و سورية.

(1) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص 42. كذلك مقاتل من الصحراء (مصدر سابق) ص 13.

(2) د. عبدالرحمن قاسم (المصدر السابق) ص 43.

(3) محمد أمين زكي (خولاصه يه كي تاريخي كورد و كوردستان) چاپي 2004 سليتماني، بهرگي يه كه م، ص 119. وكذلك

د. عبدالله العلياي (كوردستان في عهد الدولة العثمانية من سنة 1851-1914 دراسة في التاريخ السياسي) ص 30.

(4) شرفخاني بدليسي (شهره فنامه) الطبعة الكوردية/1981، ص 194.

(5) د. عبدالله العلياي (المصدر السابق) ص 27.

ثانياً: الخوف من انخياز الامراء الكورد الى الجانب الصفوي.

ثالثاً: ادركت الدولة العثمانية مدى شجاعة الكورد في الحروب لذلك عملت على الاستفادة منهم الى جانبها.

رابعاً: بالرغم من ان معركة (جالديران) كانت معركة كبيرة و انتصرت فيها الدولة العثمانية الا انها لم تكن حاسمة بل بقيت الدولة الصفوية كمصدر تهديد و كان الكورد هم الذين يسيطرون على المناطق الواقعة بين هاتين القوتين، و من جانب آخر استفاد السلطان العثماني من كون الاكراد على المذهب السني فاستطاع ان يكسب صداقتهم و تعاونهم ضد الدولة الصفوية الشيعية المذهب.

وعلى هذا الاساس مرت العلاقة بين الكورد و الدولة العثمانية بعد معركة (جالديران) بمرحلتين:⁽¹⁾

الاولى / مرحلة الوثام و المصالحة و التعاون و الاعتراف المتبادل.

الثانية / مرحلة محاولات الدولة العثمانية بتخطي الاتفاق بينها و بين الامراء الكورد. وكان السلطان سليمان القانوني الذي تولى الحكم في عام 1520م بدأ بحرق تلك الاتفاقية و لكن الامارات الكوردية دأبت على مقاومة السلطات العثمانية و حافظت على استقلالها المشروع ما استطاعت الى ذلك سبيلاً. و مع بداية القرن التاسع عشر بدأت الدولة العثمانية بتطبيق سياسة السيطرة المركزية على الولايات و الامارات و ذلك من قبل السلطان محمود الثاني (1808-1839م)، و كان عهده بداية نهاية الامارات الكوردية المستقلة و اتبع السلطان محمود الثاني هذه السياسة بحجة القيام بالاصلاحات داخل الامبراطورية الضعيفة. و كان احدي مبرراته هي قطع الطريق امام التدخلات الايرانية و الروسية في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية. و استطاع السلطان محمود الثاني من تحقيق اهداف سياسته ازاء الامارات الكوردية و اسقاطها واحدة تلو اخرى في حوالي منتصف القرن التاسع عشر باسقاط امارة بوتان في عام 1847 لعدة اسباب منها:

1. قوة الجيش العثماني من حيث التنظيم و التدريب و الاسلحة.
2. الانقسامات الداخلية بين الامراء الكورد انفسهم.
3. العامل الخارجي المتمثل بالدول الكبرى خاصة روسيا و بريطانيا اللتين كانتا تساندان الدولة العثمانية⁽²⁾.

(1) د. عبدالله العليوي (المصدر السابق) ص30.

(2) د. عبدالله العليوي (المصدر السابق) ص31-35.

المطلب الثاني

عهد ظهور شيوخ الطرق الصوفية

بعد القضاء على الامارات الكوردية المستقلة عجزت السلطات العثمانية عن مد نفوذها الى جميع المناطق الكوردية و فشلت في ممارسة سيطرة حقيقية عليها، مما ادى الى انتشار الفوضى و القلاقل مما احدث ازمة اجتماعية و ادارية في تلك المناطق. و بات مقدراً و بمرور الزمن ان يملأ شيوخ الطرق الصوفية هذا الفراغ. و بهذا المنوال نبغ شيوخ (شمدينان) بزعامة الشيخ عبيدالله النهري و تمت لهم السيطرة على المناطق التي كانت تحت حكم امراء بوتان و بهدينان و هكارى و اردلان. كما ان شيوخ البرزنجية استخلفوا امراء بابان في السليمانية و كركوك و ما حولها. و شيوخ بارزان بسطوا سلطانهم على اجزاء من بادينان و هكارى.

ان تبوء هؤلاء الشيوخ مراكز القيادة القوية بين الكورد لا يشير بحد ذاته الى مجرد المقدار الذي كان يتمتع به واحد منهم من هيبة و ولاء بسبب مقامه الديني، بل على خلو كردستان بعد زوال الامراء الكبار من شخصيات قيادية كوردية قادرة على جمع كلمة الجمهور و كسب ولاءهم.

ان تلك المبادرة التلقائية التي تقبل بها الكورد هؤلاء الشيوخ الروحانيين قادة و زعماء، انما يدل على مدى ما بلغ شعورهم بالحاجة الى ملء الفراغ القيادي و السياسي الذي احدثه غياب الامراء. و هو كذلك يكشف عن ذلك الخواء السيكولوجي في الشعور القومي الكوردي في تلك المرحلة التاريخية⁽¹⁾.

و معلوم ان هناك طريقتان مشهورتان في كردستان احدهما هي الطريقة القادرية التي تأسست من قبل الشيخ عبدالقادر الكيلانى الكوردي الاصل (1078-1166م) و قد توطدت دعائم هذه الطريقة بين الاكراد بعد وقت قصير و انتشرت في مناطق كثيرة من كردستان خاصة السليمانية و ما حولها على يد الشيخ معروف النودي البرزنجي.

الثانية: هي الطريقة النقشبندية التي انتشرت في كردستان على يد مولانا خالد النقشبندي الشهرزوري عام (1776-1827م) و هو من قبيلة الجاف⁽²⁾ التي تسكن مناطق شهرزور و كرمان و حول السليمانية و مناطق تابعة لكرماشان في القسم الايراني من كردستان. و من هؤلاء الشيوخ برز زعماء قوميون قادوا الثورات الكوردية فيما بعد، امثال الشيخ عبيدالله النهري الذي كان من الزعماء الكورد الدينيين و السياسيين في كردستان في آن واحد، بل كان اعظمهم شأناً و قد تهيأت له ظروف عدة ليتقلد مقام الزعامة العليا على ابناء شعبه اثناء الحرب العثمانية - الروسية بين 1877-1878م. فكان الكورد اكثر من أي وقت آخر يتطلعون الى قائد منقذ يخرج من بينهم. و بدا الشيخ عبيد الله ذلك القائد المنشود، فهو عميد اسرة مشايخ شمدينان و نجل الشيخ طه الجليل القدر. وقد رأى

(1) جرجيس فتح الله (ثورة الشيخ عبيدالله النهري) دار نارس للطباعة و النشر، الطبعة الثانية، اربيل/2001، ص105.

(2) توماس بوا (تاريخ الاكراد) ترجمة: تيسير ميرخان، دار الفكر/ دمشق، الطبعة الأولى/2001، ص129.

فيه ابناء شعبه انه مبعوث العناية الالهية، والواقع هو انه كان يرى نفسه صاحب رسالة و انه هو الرجل المنتدب لتقويم الامور و اصلاحها، مثلما كان اتباعه و مؤيدوه يرونه بهذا المستوى⁽¹⁾.

(1) جرجيس فتح الله (المصدر السابق) ص18-19.

المطلب الثالث الثورات الكوردية

شهدت كوردستان في العهد العثماني خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر العديد من الانتفاضات و الثورات المحلية التي كانت تحدث لرفع الظلم و الجور من الضرائب و الاتاوات الباهظة من قبل السلطات العثمانية التي اثقلت كاهل الشعب الكوردي، أو هي اندلعت طلباً للاستقلال. يقول البروفيسور فيلجيفسكي الروسي حول الانتفاضات الكوردية: (القضية لم تكن مجرد دسائس بعض الزعماء بل كانت ثورة جماهير صحيحة، فالجماهير الكوردية تحت حكم الاتراك كانت تقاسى ابعث انواع الظلم من حكامها الطغاة)⁽¹⁾. و يقول في معرض تعليقه على الحركات الكوردية التي حدثت اثناء الحرب الروسية - التركية (1828-1829م) ما يلي:

(لقد عمت الثورة بلادهم (أي بلاد الاكراد) آنذاك و كانت موجهة ضد الاقطاعيين الاتراك و الاكراد على حد سواء، هؤلاء الاقطاعيين الذين باستبدادهم و تعنتهم اضرروا اقتصاديات القبائل الرحل الفقراء. ولم يكن العامل الاقتصادي وحده سبب الثورة، فالعقيدة الوطنية ايضاً لها عمل كثير فيها، وقد شرعت هذه العقيدة تتبلور اولاً في بيئة النخبة عند الزعماء و في محيطهم حتى بلغت الجماهير)⁽²⁾. ومن هذه الثورات و الانتفاضات التي حدثت في النصف الاول من القرن التاسع عشر، هي انتفاضة محمد باشا الرواندوزي بين أعوام (1832-1836م) في كوردستان العراق الذي اراد ان يوحد الكورد جميعهم داخل الدولة العثمانية و ايران تحت حكمه. و كان الامير السوراني رجلاً سياسياً و عسكرياً و مصلحاً من الطراز الفريد في زمانه، وتعد انتفاضته اول انتفاضة كوردية في التاريخ المعاصر استهدفت جمع شمل الكورد في دولة مستقلة. ولكن الدبلوماسيين البريطانيين قاموا بدعم الدولة العثمانية لقمع الانتفاضة لأنهم كانوا خائفين من أن استقلال كوردستان سيكون خطوة كبيرة لإنهيار الدولة العثمانية و لن تستفيد منها غير روسيا القيصرية. لذلك فإن الاطماع الروسية في الدولة العثمانية هي التي دفعت بريطانيا لقمع الإنتفاضة الكوردية.

وكانت انتفاضة الأمير بدرخان بين أعوام (1842-1847م) في شرق الاناضول (كوردستان توركيا) مثال اخر يبين كيف أن الصراع (الروسي-البريطاني) للهيمنة داخل الدولة العثمانية ترك أثره البالغ في العلاقات العثمانية-الكوردية و أخيراً طالبت كل من بريطانيا و فرنسا و روسيا السلطان العثماني بضرورة قمع انتفاضة بدرخان و الا ستدخل الدول الغربية لحماية المسيحيين، فأرسلت الدولة العثمانية قوة كبيرة للقضاء على ثورة الامير بدرخان و امارته⁽³⁾.

(1) جلال طالباني نقلاً عن باسل نيكييتين/ص194-195 (المصدر السابق) ص82.

(2) جلال طالباني نقلاً عن باسل نيكييتين/ص194-195 (المصدر السابق) ص83.

(3) د. عثمان علي (دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة 1833-1946) الطبعة الأولى 2003م/1412هـ، مطبعة الثقافة/أربيل، ص18-21.

وكانت الانتفاضة العامة الاخيرة في القرن التاسع عشر حدثت بين اعوام (1878-1881م) بقيادة الشيخ عبيدالله النهري الذي سيطر على مناطق واسعة في القسم الايراني من كردستان و حقق بعض الانتصارات و لكن تحت الضغط البريطاني الروسي من جهة و التعاون العثماني – الايراني المشترك من جهة اخرى انتهت محاولات الشيخ لتأسيس دولة كردية.

ويقول جلال الطالباني حول هذا الموضوع⁽¹⁾: (على الرغم من اخفاق الانتفاضات المسلحة و الثورات الكردية خلال القرن التاسع عشر في تحقيق الاهداف القومية الكبرى، الا انها حققت مهاماً خطيرة، منها بلورة الوعي و فضح الحكام الطغاة و ارشاد الشعب الكوردي الى ضرورة تنظيم قواه و توحيد صفوفه و المطالبة بحقوقه).

(1) جلال طالباني (المصدر السابق) ص 89.